ASJP Algerian Scientific Journal Platform

مجلة التواصلية

ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537

HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294



المجلد: 11 العدد: 01 (2025) ص 99/81

الإستطيقا الرمزية في نصوص عباس بيضون

Symbolic aesthetics in Abbas Beydoun's texts

محسن عباسي*	محمد جواد بورعابد	ناصر زارع	رسول بلاوي	علي خضري
جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران	جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران	جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران	جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران	جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران
mohsenabb6224@gmail.com	m.pourabed@pgu.ac.ir	nzare@pgu.ac.ir	r.balavi@scu.ac.ir	alikhezri@pgu.ac.ir

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2024/11/27

تاريخ القبول: 2024/12/30

الكلمات المفتاحية:

- ✓ الرمز
- ✓ عباس بيضون
- ✓ الجمالية
- ✓ الإستطيقا
- ✓ قصيدة النثر

الملخص:

تُعدّ الرمزية أحد أبرز آليات الجمال الأدبي حيث يقوم الكاتب والشاعر باستخدام بعض من المفردات ذات الدلالة الرمزية في نصه لإحلال فضاء شعري خاص وذلك من أجل تفعيل الأجواء بين النص والمتلقي وهذا الأمر هو ما نجده في ثنايا نصوص الشاعر اللبناني عباس بيضون حيث يستخدم مزيجا من الرمزيات الأدبية وذلك لإضفاء جمالية تفاعلية من واقعه المعاش والمحسوس إلى عقلية المتلقي وفهمه وهذا ما سيقوم البحث بالعمل عليه من خلال الأسلوب التحليلي الوصفي من بين نصوص الشاعر بيضون وهذا ما توصلت إليه نتائج البحث إذ نراه في فترة من الفترات يتمسك بالرمزية الفولكلورية ويستخدم العديد منها ليرسم للمتلقي جمالية تعبيره الدال على واقع مجتمعه ونشهد في فترات أخرى من نصه الشعري أنه استخدم الرموز الأسطورية وذلك بسبب تشابهها مع واقع وصفه؛ كما أن الشاعر قد تطرّق إلى توجهات رمزية ذات مكانة جمالية من الطبيعة والبيئة والثقافة العربية.

Article info

Received 27/11/2024

Accepted 30/12/2024

Keywords:

- ✓ *Symbol*
- ✓ *Abbas Baydun*
- ✓ *Aesthetics*
- ✓ *Aesthetics*
- ✓ *Prose Poem*

Abstract :

Symbolism is one of the most prominent mechanisms of literary beauty, as the writer and poet use some of the vocabulary with symbolic significance in his text to create a special poetic space in order to activate the atmosphere between the text and the recipient. This is what we find in the folds of the texts of the Lebanese poet Abbas Baydoun, as he uses a mixture of literary symbols in order to add an interactive aesthetic from his lived and tangible reality to the recipient's mindset and understanding. This is what the research will work on through the descriptive analytical method among the texts of the poet Baydoun. This is what the results of the research have reached, as we see him in a period of time adhering to folkloric symbolism and using many of them to draw for the recipient the beauty of his expression indicating the reality of his society. We witness in other periods of his poetic text that he used mythological symbols due to their similarity to the reality of his description. The poet also touched on symbolic trends with an aesthetic status from nature, the environment and Arab culture.

*المؤلف المرسل

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

1. المقدمة:

يُعدّ موضوع جمالية الرمز في الشعر على وجه الخصوص، من أبرز التوجهات الإستطيقية الدالّة على كلّ ما هو جميل في التعبير أو الدلالة أو الصورة الجمالية من حيث ما توصف أو من جهة المعنى المقصود في أدبيّة النص بصورة عامة والشعر على وجه الخصوص بشقيه التقليدي أو الحديث؛ ونخصّ هنا الشعر دون النثر حيث إن الشعر يمتلك أسلوبا خاصة في التعبير والدلالة وكذلك قصر التعبير وجزالته، ذلك لأن الشعراء بمختلف أطيافهم وجدوا في كتابة الشعر وسيلة للإفصاح عن معتقداتهم وآرائهم المبطنة وذلك عبر تعابير رمزية من خلال ارتباطات اللغة والدلالة في أمور عدّة منها الغيبيّة والفولكلوريّة والطبيعيّة، وهذه التعبيرات الرمزية قد خلقت على نقيض التجربة العربية الشعرية في التعبير المرئي والواضح فضاء رحبا، جعل للشعراء المحدثين توجها حديثا في وصفهم يمكن تفسيره وفق ما يراه ويتلقاه المخاطب والقارئ، وهذا ما جعل الشعر يتميز عن النثر بالجمالية الرمزية وذلك بسبب توفره على أشكال من الصور البيانية والمحسنات البديعية وعنصر الخيال.

ونظرا للبحوث والدراسات التي اهتمت بشعر عباس بيضون نجد أن الرمزية الإستطيقية لم تنل حظها وهذا ما جعلنا نهتم بهذه الدراسة ونخوض غمار هذا البحث؛ حيث إن النص الأدبي عبر رمزيته يهدف إلى إحلال جمالية في ذهن المتلقي وهذا ما نراه جديرا بالبحث والتدقيق.

1.1 أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في تبيين جمالية النص الأدبي المكتنز بالصور والدلالات الرمزية حيث تكون لكلّ من هذه الرمزيات عمق ثقافي ودلالة شعرية خاصة وهذا ما يحفز الباحث ليلج غور النص الشعري المختص بالشاعر.

2.1 أسباب اختيار الموضوع

يُعدّ عباس بيضون من أبرز الشخصيات الأدبيّة في الشعر العربي التي قطعت مشوارها الأدبي عبر كتابة قصيدة النثر بصورة مباشرة وقد اهتمت أيضا بكتابة الرواية،كما أن بيضون قد رسم أفكاره ومفاهيمه عبر استخدام آلية الرمز ليضفي على نصّه تفاعلا جماليا، وهذا ما استوقفتنا للعمل على هذه الأعمال الأدبيّة كنموذج لدراسة هذه اللغة المعاصرة والمغايرة ذات الطابع الجمالي.

3.1 أسئلة البحث

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

1- ما الرموز الشعرية التي استخدمها عباس بيضون في نصوصه الشعرية؟

2- ما أبرز الدلالات الإستطيقية التي تطرّق إليها الشعر عباس بيضون من خلال استخدام الرمز؟

3- كيف تمكن الشاعر من توليف الأدوات الثقافية لتبيين جمالية الرمز في نصّه الشعري؟

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

4.1 الدراسات السابقة

– مقال تحت عنوان "مظاهر الرمز التراثي فى شعر سميح القاسم" للباحثين سيد محمدرضا خضري ومنال فلاح (2014) الذي تمّت طباعته في مجلة الأدب العربي، الرقم 5، صص 119-147وقد تطرق الباحثان في هذا المقال إلى الدلالات الرمزية الواردة في سياق النص الشعري لكنهما لم يبحثا الأثر الجمالي للرمز في سياق النص.

- مقال تحت عنوان "تجلي الرمز فى رواية «نجمة» لكاتب ياسين" للباحثين فاطمة قادري وزهرا حاجي حسيني(2014)، الذي تمّت طباعته في مجلة الأدب العربي (كلية الأدب والعلوم الإنسانية لجامعة طهران)، وقد تطرّق الباحثان إلى تبيين تجليات الرمز في سياق الشعر الخاص بالشاعر سميح القاسم.

- مقال تحت عنوان "الرمز التاريخي وحقوله الدلالية فى الشعر الفلسطيني المعاصر"، للباحثين عاطي عبيات، زين العابدين فرامرزي، ويوسف نجات نجاد(1435هـ.ق)، وقد تمّت طباعته في مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 10(3)، صص 405–430، وقد تناول المقال الحقول الرمزية في سياق الشعر الفلسطيني وتطرّق إلى الدلالات الرمزية المستخدمة في شعر الشعراء الفلسطينين بصورة عامة.

ومن خلال تصفحنا عن الخلفية البحثية لمادة دراستنا لم نعثر على دراسة خاصة في سياق الرمز الشعري تهتم بالمادة الشعرية للشاعر عباس بيضون.

2. التمهيد النظري

1.2 حياة الشاعر

وُلد الشاعر عباس بيضون سنة 1945 في مدينة صور التي تقع جنوب لبنان في أسرة أدبية. وقد أنشد الشعر منذ صباه وأصبح من أبرز شعراء قصيدة النثر. ومن أهم أعماله الشعرية مجموعة "صور" و"نقد الألم" و"الوقت بجرعات كبيرة" و"مدافن زجاجية" و"حجرات" و"ب.ب.ب" و"بطاقة لشخصين" و"الحداد لا يحمل تاجا" و"ميتافيزيق الثعلب" و"الحياة تحت الصفر" وقد تمت ترجمة شعره إلى عدة لغات منها الإنجليزية والفرنسية والإسبانية. له عدّة روايات منها "ساعة التخلي" و"الشافياتة" و"خريف البراءة"[1].

2.2 الرمز لغة

يعني مصطلح الرمز الإيماء والإشارة والعلامة. وترامز القوم أي أومؤوا وأشاروا خفية بالعينين أو الشفتين أو الحاجبين. أو أيّ شكل من أشكال التّعبير اللفظي أو غير اللفظي. وجاء في لسان العرب لابن منظور في جذر رمز: "الرمز معناه تصويت خفي باللسان كالهمس وتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، إنّما هو إشارة بالشفتين، وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم، والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ

1– موقع أبجد، ينظر على الرابط التالي: https: //www.abjjad.com

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بأي شيء أشرت اليه بيد أو بعين."[1] وقد ذُكر هذا المعنى بأكثر من معجم كمعجم المحيط في اللغة وتاج العروس والعين والقاموس المحيط الخ... وجاء في تهذيب اللغة للأزهري: "والرمز والترمز في اللغة: الحركة والتحرّك."[2]

وقد استخدمت مفردة الرمز في الآية المذكورة في القران الكريم: ﴿**قال ربّ اجعل لي آية قال ايتك ألّا تكلّم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا**﴾[3]، أي أن يومي لهم فقط، يعني أنه يُشير عبر يده أو رأسه (لا يكلم أحدًا الا بالإشارة). وورد في معجم اللغة الفرنسية: "والرمز الإشاري أساس الأديان جميعها في الأصل أمّا في الشّعر، فالرمز يعيد الشعر إلى ينابيعه الأولى، لأن الشعر في أصول أغراضه لا ينوه عن الأشياء، الواقعية مباشرة، بل يُعبر عنها بطريقة صورية إشارية."[4]

3.2 الرمز اصطلاحًا

الرمز هو ما دلّ على غيره وفيه وجهان: كدلالة المعاني المجردة على الأمور الحسية مثل دلالة الأعداد على الكميات، ودلالة الأمور الحسّيّة على المعاني المتصورة كدلالة الثّعلب على المكر ودلالة الحرباء على التقلّب، أمّا أدونيس فيعرّفه أنّه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة التي تتكوّن في وعي المتلقي بعد قراءة القصيدة، حيث إنّه البرق الذي يتيح للوعيّ أن يستشفّ عالمًا لا حدود له، كما يعرف أنّه (اللفظة) التي يقوم الشاعر بشحنها عبر طاقات إيحائية ذات دلالات متُعدّدة تختلف من شاعر إلى آخر، تحقق أغراضًا متنوعة من خلال وجودها في القصيدة وتوظيف الشاعر لها، وتتميز بالإيحاء المحدث للغموض الذي يفجر تأويلات المتلقي بسبب ذلك الغموض في الصورة الشعرية للنص. ويمكن القول إنّ الرمز بمفهومه الشّامل "هو ما يمكن أن يحلّ محل شيء آخر في الدلالة عليه لا بطريقة المطابقة التامة وإنّما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضيّة أوعلاقة متعارف عليها، فالرمز وسيلة إيحائية تستخدم للشعر، إذ هي قادرة على الايحاء والتلميح."[5]

لذلك، أصبح الرّمز سمة من سمات الشّعر العربيّ المعاصر ومن أهم موضوعات الحداثة ودلالة على رؤية جديدة، وعلامة جديدة على ما يقصده الشّاعر لتحثّ القارئ على الاستكشاف والتعمّق أكثر ليخترق الغموض ويظهر معناه.

فالرمز أطلق على ما يشير إلى شيء آخر غير المعنى الواضح، و"يتيح لنا أن نتأمل شيئًا آخر وراء النص، فالرمز قبل كل شيء معنى خفي وإيحاء."[6] إذن، فالرمز بديل عن شيء آخر أو شيء يحلّ محلّه، الشيء الذي له وجود حقيقي معلوم، وبواسطة الرّمز يشير إلى فكرة أو معنى محدّد، فالعلاقة الداخليّة تربط الدّال بالمدلول مثلاً الصليب يرمز الى المسيحيّة. وقد عرّف معجم مصطلحات الأدب الرّمز أنّه: كل ما يحلّ محلّ شيء آخر في الدلالة عليه لا بطريق المطابقة التامة وإنما

1- زراقط، عبد المجيد، (1991م)، دراسات في التراث الادبي، مركز الغدير، بيروت، ص24.

2- سعدي، ابوشاور، (2003م)، تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر، دار الفاس للنشر والتوزيع، عمان، ص76.

3- عزالدين، اسماعيل، (2003م)، الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، ط6، ص89.

4- الداية، فايزة، (1996م)، جماليات الاسلوب، الصورة الفنية في الأدب، بيروت، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، ص125.

5- العشماوي، زكي، (د.ت)، الأدب العربي الحديث واتجاهاته الفنية، مؤسسة جابر عبد العزيز مسعود، ص.

6- عبد الصبور، صلاح، (1983م)، حياتي في الشعر، بيروت، دار العودة، ص49.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بالإيحاء وعادة يكون الرمز بهذا المعنى شيئًا ملموسًا يحلّ محلّ المجرد كرموز الرياضيات. ولقد ذهب بعض الباحثين في تعليقاتهم الى أنّه: شيء حسّي يعتبر كإشارة لشيء معنوي لا يقع تحت الحواس.

لقد استخدم الرمز في العديد من المجالات والأنواع من بينها:

الرمز الطبيعي: يقوم الرمز الطبيعي من خلال توحيد الذات الإنساني مع العوالم الطبيعية وشحن تلك العوالم فيستبط الشاعر الطاقات الداخلية لذلك الرمزية وشحنها بجملة من المشاعر والأفكار الجديدة، ويتم توظيف تلك الرموز بناء على هوى الشاعر، وغالبًا ما يكون الرمز الطبيعي ضبابيًّا لا يستطيع القارئ الوصول إلى معناه الموضوعي في أكثر الأحيان.[1]

الرمز التراثي: وهو من أكثر أنواع الرموز دلالة وهي التي يميل إليها الشعراء غالباً؛ وذلك لإضفائها العراقة والأصالة على الطابع الأدبي حيث تربطه بدعامة التراث والفولكلور وتؤكد للمتلقي أن هذا الأدب من جذور وحضارة أصيلة، ويُقسم الرمز التراثي إلى العديد من الأنواع منها ما يلي:

1. الرمز التاريخي: وهو الرمز الذي يُراد منه استطراق العديد من الأمور والأحداث التاريخيّة عبر مرّ الزمن خاصّة في الحضارات المرتبطة ببيئة الشاعر والأديب، أو حتى الأماكن والمدن التي ارتبطت بها الثقافة المسيطرة لتلك الأحداث التاريخيَّة المشهورة، أو حتى ما دلّ عن أحداث مهمة في الأعمال الأدبية.

2. الرمز الديني: وهو الرمز الذي يزيد على النص أثراً نفسياً وبُعداً روحانيا يتوغّل في خبايا النفس الدَّاخليَّة فيؤثر في نفس المتلقي عبر الخطاب وأنماطه الإيحائية.

3. الرمز الصوفي: تُعدّ نَّ مهمة الرمز الصوفي الخروج من واقع المحسوسات ورؤية الجمالية الإلهية من خلال انعكاسه على المظاهر الحسية، فيجد القارئ أنَّ موضوع الجمال عند الصوفية ينتقل من عالم العقل إلى عالم المشاعر وتجاوز هذا العالم إلى اليقين.

4. الرمز الأسطوري: يهدف الرمز الأسطوري إلى دمج المعاني المتشابهة وصهر الأفكار المتقاربة للوصول إلى الغاية المتثملة بدمج الحدود والفوارق، ويُؤكد الرمز الأسطوري على تأكيد كل ما هو قدسي.

الرمز الخاص: إنَّ الرمز الخاص يكون من ابتكار الشاعر نفسه أي لم يصطلح عليه الأدباء من قبل، بل هو نابعٌ من تجربة الشاعر الشخصية، وتُعرف دلالة هذا الرمز من خلال السياق وكذلك التجربة الشعرية، ولا بدَّ من وجود بعض القرائن التي تدلّ عليه.[2]

3. القسم التحليلي

1.3 جمالية الرمز

يُعدّ موضوع جمالية الرمز في الشعر على وجه الخصوص، من أبرز التوجهات الإستطيقية الدالّة على كلّ ما هو جميل في

1- المصدر نفسه.

2- دبي، نادية، (2015م)، الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان، ص12.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

التعبير أو الدلالة أو الصورة الجمالية من حيث ما توصف أو من جهة المعنى المقصود في أدبيّة النص بصورة عامة والشعر على وجه الخصوص بشقيه التقليدي أو الحديث؛ ونخصّ هنا الشعر دون النثر حيث إن الشعر يمتلك أسلوبا خاصة في التعبير والدلالة وكذلك قصر التعبير وجزالته، ذلك لأن الشعراء بمختلف أطيافهم وجدوا في كتابة الشعر وسيلة للإفصاح عن معتقداتهم وآرائهم المبطنة وذلك عبر تعابير رمزية من خلال ارتباطات اللغة والدلالة في أمور عدّة منها الغيبيّة والفولكلوريّة والطبيعيّة، وهذه التعبيرات الرمزية قد خلقت على نقيض التجربة العربية الشعرية في التعبير المرئي والواضح فضاء رحبا، جعل للشعراء المحدثين توجها حديثا في وصفهم يمكن تفسيره وفق ما يراه ويتلقاه المخاطب والقارئ، وهذا ما جعل الشعر يتميز عن النثر بالجمالية الرمزية وذلك بسبب توفره على أشكال من الصور البيانية و المحسنات البديعية و عنصر الخيال.

وفقا لما تقدم عن الجمالية الرمزية في الشعر، يمكن القول بإن الجمالية تشتق من الجمال، فالحديث عن الجمالية الرمزية قابع تحت مفهوم الإستطيقا الشاملة، وهذا ما نحاول الولوج إليه في نصوص الشاعر عباس بيضون لنكشف من خلاله، جمالية الدلالة الرمزية في صورها المختلفة.

إذن إن الإحساس بالجمال شعور موجود عند الإنسان البدائي كما هو الحال عند أكثر الناس تحضرا، وهو موجود في كل مكان، وفي كل شيء، و هذا ما يحسه ويدركه الإنسان إذا شاء، حيث يقول محمود إسماعيل: "كل شيء جميل إن وعينا الجمال"[1].

في الواقع إن الإنسان يتأمل بكلّ رحابة صدر مكنونات الطبيعة من الزهور والأشجار والمحيط كله، ويستخدم منذ زمن بعيد جميع ما يمتلكه من أدوات وتوجهات ليرسم وينحت مناظر من إلهام خياله وإبداعه صورا يراها ذات بعد جمالي. ورغم ضغوط الحياة العصرية يظل هذا الإحساس الجميل متوقدا ومتوهجا في النفس الشاعرة، وهو إحساس لا ينمو من فراغ، بل يبقى في الشعور في حالة خمول ويكون فعالا ونشطا في ظروف معينة، ونلمس هذا عند الطفل والمراهق والشاب وكبير السن، فكل مرحلة لها مقاييسها التي تختلف طبقا لارتباطها بمؤثرات بيئية واجتماعية، أو زمانية ومكانية، وكلما زادت ضغوط الحياة على الإنسان كلما زادت حاجته إلى تركيز اهتمامه وأجواء خاصة به يتذوق من خلالها الجمال الذي ينشده ويتوق إليه ويجد نفسه بالقرب منه وهو يتخذ أشكالا عديدة فهو موجود عند الرسامين والموسقيين والشعراء، موجود في انعكاس الأشعة على صفحات المياه، وفي شروق الشمس وغروبها، وهكذا يظل الجمال وتذوقه أنبل وأهم خصائص العقل البشري وأجمل معاني القلب والروح والوجدان في جميع الأزمنة.

وبمعنى آخر أن الجمالية أو التجربة الجمالية توحد الوعي، وتصبح طبيعة الشاعر ومحيطه كلا واحدا.

إذن فالتجربة الجمالية، تكون دائما ذاك التفاعل بين الإنسان ومحيطه، من مميزات الشيء الجميل أنه يطرق ذهن الشخص دون استئذان ويشعر بحلاوته وجماله تلقائيا بمجرد أن تقع عليه عينه أو تلامس سمعه، ولعل الحواس الخمس هي وسائل

1- عبد الفتاح، ثريا، (2023م)، القيم الروحية في الشعر العربي، الشركة العالمية للكتاب، ص43.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

لشعورنا بهذا الجمال والاستمتاع به، والجمال نوعان أحدهما حسي وهو يحدث اختلاجات في الجسد أو بمعنى أدق في النفس يزول بزوال المؤثر، أما الثاني فهو معنوي وتجسده القيم غير المنظورة في المجتمع الإنساني (الأخلاق) ويسمى الجلال و يبقى تأثيره بعد زوال المؤثر.

إن الجمال يُحسّ بدرجات متفاوتة، لكنه يستحيل وصفه بصفة واحدة، ومن ثمة لا يمكن تحديده بصفة مطلقة، ولهذا السبب قال بايير: "القانون الأوحد للجمال، أنه ليس للجمال قانون."[1] إن الجمال إحساس سار، أي إنه "كل ما يسر النفس من طريق الحواس الخمس ولاسيما العين و الأذن، هو جميل، والجمال خصال، مدركة بالحواس، وبخاصة هاتين الحاستين معا أو منفردتين من شأنها أن تسرا النفس."[2]

والجميل في إجماع الناس هو ما ينشئ في الذهن فكرة سامية عن الشيء في الطبيعة أو عن الموضوع في الفنّ، فيبعث في نفسك عاطفة السرور منه، والإعجاب به.

ويرى ويكلمان أن الجمال صفة تطلق على كل ما يعطى لدة منزه عن الغرض، فهو كالمياه الصافية المستقاة عن عين صافية، و هي تكون صالحة للشرب، كلما كانت خالية من الطعم."[3]

كما يقول كانط في الجمال: "الجمال" حالة من الوجد، تمتع دون غاية، ودون مفهومات"[4].

هكذا يتجلى أن الحس الجمالي حس قائم بذاته، يستمد قيمته من ذاته وحدها، وهو منفصل تماما عن المعرفة، وعن لذة القبول والمتعة والاهتمام والفائدة. وبهذا يكون الجمال رمزا لا يكشف عن شيء، لأنه لا يعبر عن شيء غير ذاته.

وقد عني الصوفيون بجانب الجمال حين سعوا إلى تجسيده والتعبير عنه في قالب شعري رمزي يصعب على القارئ فك رموزه إلا على المتمكن النابغ وبخاصة محي الدين بن عربي.

في الحقيقة إن الجمالية باعتبارها علماً تهتم بالجمال في الطبيعة والفن، وأصبح هدفها الاستمتاع بجمال هذا الفن، وإدخال السرور والبهجة على متلقيه في مختلف ضروبه، ومنه بطبيعة الحال الأدب من شعر ونثر.

ومعنى هذا أن الجمالية ترى تجريد الأدب من ارتباطه بالحياة وقضايا المجتمع، وتقصر مهمته على جلب المتعة الفنية، فكان من الطبيعي أن تعنى بالشكل دون الضمون وتنأى عن العصر ومشكلاته، لذلك شاع في أدب الجماليين ما يخدش الحياء، ويدعو إلى الانحلال ويسيئ إلى الدين، كما نجد ذلك عند "إدجار آلان بو وبودلير"، وألقت الجمالية بهذا المفهوم بعض ظلها على ألوان من الأعمال الأدبية، وخصوصا في القصة والرواية والشعر.

وإذا كان للجمالية هذا الوجه المعتم، فإنّ لها وجها آخر باسما مشرقا، وذلك حين ننظر إليها مرادفة للحق والخير، تعنى بجمال الشكل وجمال المضمون، وتنظر إليها بمقياس واحد، وتعتبر الفن أو الأدب تجربة إنسانية حية، تقدم في صورة رفيعة

1- إبراهيم، زكرياء، (1966م)، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، القاهرة، ص 376.

2- الطيب، عبد الله، (1970م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الفكر، بيروت، ط1، الجزء الثالث، ص 487.

3- لالو، شارل، (2010م)، مبادى علم الجمال "الاستطيقا"، ترجمة: مصطفى ساهر، المركز القومي للترجمة، ص 17.

4- Critique du gujement، Paris 1966 p:46.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مؤثرة، وتجمع بين الفائدة والإمتاع.

2.3 تحليل جمالية الخطاب الرمزي

يشير تحليل جمالية الخطاب الرمزي إلى دراسة الرموز والرمزية المستخدمة في الأدب وكيفية إيصال هذه الرسائل والمعاني العميقة من خلال استخدام الرموز والرمزية في النصوص الأدبية. حيث يكون الرمز هو العنصر الذي يستخدم لتمثيل شيء آخر أو للإشارة إلى معانٍ أعمق ومستويات متعددة من المعنى.[1] ويتطلب تحليل جمالية الخطاب الرمزي فهم الرموز المستخدمة في النصوص الأدبية وتفسيرها وتحليلها. حيث يمكن أن تكون الرموز ثقافية أو اجتماعية أو رموزًا متعلقة بالطبيعة أو رموزًا شخصية. ويعتمد فهم الرموز على الثقافة والخلفية الشخصية للقارئ، ومن ثم يتطلب التحليل العمل على فك رموز النص واستنباط المعاني المتعددة المحتملة.

كما تستخدم الرموز في الأدب لإضفاء العمق والغموض وإيصال المعاني المجازية وغير المباشرة، ويمكن للشعراء والأدباء استخدام الرموز للتعبير عن الحالات النفسية والعواطف والمفاهيم المعقدة التي يصعب التعبير عنها بشكل مباشر، حيث يتيح هذا النوع من الخطاب التواصل مع القرّاء بصورة أكثر تعمقًا وتفاعلًا من خلال استخدام الرموز.

ويساعد تحليل جمالية الخطاب الرمزي في فهم الطبقات المتعددة للمعنى في النص الأدبي؛ ويتطلب هذا التحليل القدرة على تحليل الرموز وتوصيفها وتفسيرها وربطها بالمفهوم الأعمق الذي ترمز إليه، كما يمكن أن يكشف هذا التحليل عن تنوع المعاني والتأويلات الممكنة للنص، مما يعزز فهمنا للتعقيدات والأبعاد المختلفة للأدب والطبقات المتعددة للمعنى ويساهم في توسيع آفاق التفاعل والتأويل مع النصوص الأدبية.

وفي هذا السياق يرى زعيم مبدأ الفن للفن (شارل بودلير) أن كل ما في الكون رمز، وكل ما يقع في متناول الحواس رمز يستمد قيمته من ملاحظة الكاتب، أو الفنان لما بين يدي الحواس[2]. وهذا ما يؤدي إلى تحليل جمالية الرمز في سياق النص الأدبي ونظرا لهذا التحليل يمكن استخراج مجموعة من الرموز في ثنايا انص الشعري للشاعر وهي كالتالي:

3.3 رمزية العنوان

تتميز الشعرية بالعديد من العناصر التي تساهم في إيصال المعاني والأفكار للقارئ، ومن أبرز هذه العناصر هي رمزية العنوان. يعد العنوان في النص الشعري بوابة لعالم القصيدة، حيث يحمل في طياته معانٍ ورموز تعكس أفكارًا ومشاعرًا عميقة. وتُعدّ رمزية العنوان طريقة استخدام الكلمات والتعابير بشكل مجازي، حيث يكتسب العنوان معنى إضافيًا يتجاوز مجرد وصف النص الشعري. وغالبا ما يستخدم الشاعر الرمزية في العنوان لتوجيه القارئ نحو فهم عميق للمضمون وتفسيرات متعددة لقصيدته المعنونة حيث يُعدّ العنوان سر الولوج إلى فضاء النص الشعري وقد قيل عن العنوان بأنه المدخل الرئيس لاستكشاف مكامن النص واستجلاء خباياه، فهو "يعد النواة الدلالية الأصلية التي تنفجر منها الدلالات

1- المقيد، منير عوض حسين، (2017م)، رمزية البحر في الشعر الفلسطيني المعاصر، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، ص11.

2- رماني، ابراهيم، (1993م)، "الرمز في الشعر العربي الحديث"، مجلة اللغة والأدب، مج. 2، ع. 2، ص67.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الفرعية الأخرى ويحقق عملية التفاعل بين النص والقارئ"[1]، كما يمكن أن تكون رمزية العنوان متعددة الأبعاد، إذ يتم استخدام رموز متعددة للتعبير عن الأفكار المعقدة والمشاعر العميقة في النصوص الشعرية وذلك للإشارة إلى مفهوم معين، أو لتحقيق توازن أو تضاد بين العنوان ومحتوى القصيدة، أو لخلق تأثير تشويقي يحث القارئ على مواصلة القراءة.

وبما أن العنوان يكون بوابة النص والمدخل الأساسي في عالم الصور والمعاني المستحدثة ويكون ذاك الخيط الذي يربط القارئ بالنص فقد اهتمت به المدارس والنظريات النقدية حيث "اهتمت نظرية التلقي بالعنوان، باعتبار أنه أول ما يتلقاه القارئ عند مواجهته للنص، وهو القاعدة الأساسية التي يبني عليها أفق توقعه، إنه ظاهرة تواصلية، تداولية، تقتضي التفاعل والمشاركة بين الكاتب والمتلقي."[2] ومن هذا المنطلق سوف نقوم بالاتيان بشواهد عن رمزية العنوان في نص الشاعر عباس بيضون إذ كانت وسيلة فعالة للتعبير عن المشاعر والأفكار التي استقرأناها في طيات نصوصه وكانت جليّة في عنونة قصائده وأدبه بشكل عام، مما أثارت فضول القارئ وعززت تفاعله مع النص الشعري.

يأتي الشاعر عباس بيضون في مجموعاته الشعرية بعناوين مختلفة وتحمل هذه المسميات رمزية دلالية ظاهرة أو مبطنة ومن بين مجموعاته الشعرية يمكننا الإشارة إلى مجموعة صور وقصيدة البحر وكذلك المجموعة الشعرية المعنونة "شجرة تشبه حطّابا" رمزية دفينة حيث تتطرق هذه المجموعة إلى واقعة انتحار ابن أخته ونعي الشاب بصورة مختلفة، كما أننا نشهد مفارقة واضحة المعالم في العنوان حيث يكون الحطاب رامزاً إلى الموت والاجتثاث من الحياة والشجرة لطالما كانت رمزاً للنمو والخصوبة والحياة. ويمكننا أن نشهد جمالية العنوان الرمزي عبر استخدام المفارقة كالتالي:

تتمظهر المفارقة القائمة في رمزية عنوان "الحياة تشبه حطابا" من خلال التناقض بين الحياة ودور الحطاب، حيث نشهد هناك اختلافا جذريا بين مفهوم الحياة ومفهوم الحطاب، مما يجعل هذا العنوان مفارقًا.

عندما نتحدث عن "الحياة"، فإننا نشير إلى الوجود والنمو والخصوبة والاستمرارية. وترمز الحياة إلى النمو الروحي والعاطفي والبقاء على قيد الحياة بجميع جوانبها المختلفة؛ كما ترتبط الحياة بالأمل والتطلع إلى المستقبل وتحقيق الأهداف والتفاعل مع العالم بشكل إيجابي.

ومن ناحية أخرى، يرمز "الحطاب" إلى الموت والتدمير. يقوم الحطاب بقطع الأشجار وتحويلها إلى أخشاب، مما يؤدي إلى نهاية الحياة النباتية. ويمثل الحطاب الانقطاع والفصل عن الحياة الطبيعية والتواصل مع العالم الخارجي.

لذا، عندما يقال أن "الحياة تشبه حطابا"، فإن هناك تناقضًا واضحًا. فالحياة تعبر عن النمو والازدهار والاستمرارية، بينما الحطاب يرمز إلى الموت والتدمير والانقطاع عن الحياة وهذا ما يريد بيضون الإشارة اليه عبر رمزية عنوانه بطريقة إستطيقية غاية في الجمال حيث إن الشاعر جعل ابن أخته المنتحر حطابا قد قام باجتثاث الحياه من خلال إقدامه على هذا العمل

1- صونية، زيدان؛ وعيلان، عمر، (2021م)، "جمالية التلقي في قصيدة "الموتورة" لمحمد بلقاسم خمار"، مجلة دراسات وأبحاث، مج. 13، ع. 2، ص383.

2- بن شوري، فهيمة، (2016م)، جماليات التلقي في شعر يوسف وغليسي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ص81.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وقد لفت هذا العنوان القارئ إلى الاهتمام بقراءة النص وكشف خباياه النفسية وقد كان الشاعر مصيبا في تسميته لهذه المجموعة الشعرية.

4.3 الرمزية الطبيعية

يُعدّ الشاعر عباس بيضون من أبرز الشعراء العرب المعاصرين في سياق قصيدة النثر وهو من الذين تميزوا بقدرتهم على استخدام الرموز بشكل متقن في قصائده. إذ يُعدّ استخدامه للرموز في وصف الطبيعة من أبرز سمات أسلوبه الشعري المنسلخ من بيئته اللبنانية التي نضج فيها وتنعم بها. وقد استخدم بيضون الرموز الطبيعية لنقل المعاني والأفكار العميقة والتأثير على المتلقي بطريقة فنية راقية؛ حيث تتميز رموز الطبيعة التي يستخدمها بيضون بتنوعها وغناها وذاك بسبب غناء بيئة لبنان وطبيعتها الخلابة من جمال بحرها وشواطيها وجبالها وبقاعها وأشجارها وزهورها الزاكية وليلها المتنعم بجمال أقمارها وشمسها الدافئة المطلّة على أراضيها؛ وقد استخدم الشاعر هذه المعالم الرمزية لتصوير مشاهد خلابة تساعد في تعزيز معانيه وإيصالها عبر جمالية نصه وفلسفتها وتوجهاته الإنسانية.

ونشهد أن عباس بيضون قد نجح من خلال استخدام الرموز الطبيعية، في إحداث تأثير عميق على المتلقي، إذ ساهم في إيقاظ مشاعره وتفكيره وتخيله؛ مما ساعدت هذه الرموز على استدعاء الصور في أذهان القراء وتعزيز تفاعلهم مع النص الشعري المختص به، حيث تجاوزت الرموز عبر قدرتها الحدود الزمانية والثقافية، وقد أثرت في تعاطف وتفاعل القارئ معها بغض النظر عن خلفيته وتجاربه الشخصية. ومن هذا المنطلق سوف نقدم بعضا من هذه الرموز الطبيعية الواردة في نص الشاعر عباس بيضون وسنقوم بكشف جماليتها النصية ودلالتها الكامنة في استخداماتها وهي كالتالي:

أ- رمزية البحر

حينما ننظر إلى تأثير البحر على سكان مدينة صور بشكل عام، لا سيما الشاعر عباس بيضون نشهد أن له دور كبير في التوجهات اللاشعورية حيث ارتبطوا به من جهات عديدة لا يمكن إنكارها. إذ عُدّ البحر جزءًا لا يتجزأ من حياة سكان صور، فقد أثر على ثقافتهم وتاريخهم ومعيشتهم بشكل كبير؛ لقد ارتبط البحر في الذاكرة الجمعية بصورة عامة بمعان متعددة وأحيانا متباينة، فقد رمز إلى العطاء والمنح والخير تارة وإلى الخوف والرهبة والموت والفناء تارة أخرى، حيث أن "الإحساس بالرهبة والخوف من البحر شعور عام، وإن ارتباط البحر بالظُلمة والمجهول قد استقر في روع الكثيرين، فهو مستقر الاهوال والخوف والرعب إلى جانب احتوائه على الخير والآمال."[1]

يمثل البحر دورًا حيويًا في حياة الشاعر عباس بيضون وسكان مدينة صور. حيث يُعَزِّزُ إلهامه الشعري ويُغَذِّي خياله بجماله وروعته. كما يرمز إلى العديد من المشاعر والقيم الإستطيقية التي تُميّز الشاعرية البيضونية. إن تأثير البحر على الشاعر وسكان صور يعكس الروابط العميقة بين الإنسان والطبيعة والثقافة التي تتجلى في قصائده وحياتهم اليومية وهنا سنقوم بذكر شواهد عن استخدام بيضون لواقع البحر ونستجلي جماليته الكامنة في نصه الشعري.

1- المقيد، منير عوض حسين، (2017م)، رمزية البحر في الشعر الفلسطيني المعاصر، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، ص27.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يأتي الشاعر عباس بيضون في قصيدة البحر واصفا جمالية البحر وفائدته في حياة أهالي مدينته حيث يقول:

"مَنْ أنا لأدلّكُم على الأحجار الّتي وُلدنا عليها كالسَّحالي، حينَ كانت المدينةُ ترفَع رأسَها مِنَ البَحر. تَغذّيْنا بالشَّمسِ والمِلح، وأكَلنا على الرّاحات أسْمَاكاً حيّة. وكانتِ المياهُ تتناولُنا مِنْ عَلى صُخورنا ونحنُ نتعلَّمُ الكلمات والأفكار كلّ يوم."[1]

تُعدّ قصيدة "البحر" من ديوان "صور" أبرز قصائد الشاعر اللبناني عباس بيضون التي تضمنت صوّرا جماليَّة للبحر وقد عبّرت عن العلاقة المتراوحة بين الإنسان والبحر. ويحمل البحر في هذا النص مجموعة من الدلالات الرمزية حيث يمكن تفسيرها كالتالي:

– رمزية الحياة والميلاد: يُشير البحر في النص إلى أنه مصدر الحياة وأساسها، حيث يتمثل ذلك في الإشارة إلى المدينة التي ترتفع من البحر وتعلو به؛ كما أنه أساس في تغذية سكان المدينة وقد ذكر الملح والأسماك منها. يتم التعبير أيضًا عن الولادة والنمو من خلال الإشارة إلى التعلّم اليومي واستيعاب الكلمات والأفكار.

– رمزية الشفاء والتجديد: يتم استخدام رمزية البحر للإشارة إلى الشفاء والتجديد الروحي. حيث يأتي الشاعر عباس بيضون حينما يذكر البحر وفي تكملة الفقرة بأنه يساهم في التحوّل والخلق من الرمل إلى حيوانات بحرية وهنا أشار إلى حالة فقس بيض السلحفاة التي تخرج عبر غسل الرمل بسرعة الأمواج.

يمكننا أن نستنتج من خلال هذا النص أن البحر يمثل رمزيات مختلفة في خَلد الشاعر كالحياة والجمال والتجديد؛ وقد تجلت هذه الدلالات في الوصف الجمالي للبحر والتفاعل الوثيق بين الإنسان والمحيط.

ب– رمزية القمر

يُعدّ القمر جزءًا هامًا من النظام الطبيعي، حيث يلعب دورًا بارزًا في حياة البشر وثقافتهم على مر العصور. ولطالما ارتبط الإنسان بالقمر ومظهره المتغير وظهوره وخفاءه؛ لقد انبهر البشر منذ القدم بمظهره الساطع في السماء الليلية، وقد ألهم العديد من الأدباء والشعراء والفنانين على مرّ العصور.

لقد تنوعت رمزيات القمر في الأدب بصورة عامة وعكست مجموعة متنوعة من المعاني والرموز. كما أنه رمزَ في الأدب إلى العديد من الأفكار والمشاعر، مثل الجمال، والرومانسية، والسحر، والغموض. وقد تمّ استخدام القمر للتعبير عن العواطف الداخلية للشخصيات، مثل الحزن، والشوق، والألم. علاوة على ذلك، يرتبط القمر في الأدب بالأوقات الرومانسية والشاعرية، حيث يعتبر رمزًا للعشق والفراق.

يعتبر القمر رمزًا غنيًا وشائعًا في الأدب، حيث يستخدم للتعبير عن مجموعة متنوعة من الأفكار والمشاعر. يمكن أن يكون للقمر تأثير قوي على الإنسان وخياله، وقد يتم تجسيده بأشكال مختلفة وتفسيرات متعددة في الأعمال الأدبية.[2]

1– بيضون، عباس، (2007م)، الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج1، ص35.

2– نصر الله، هاني، (2006). البروج الرمزية، دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، إربد، صص47-49.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ويستخدم الشاعر عباس بيضون القمر ورمزيته بين سطور أشعاره حيث يقول:

"القمر جافّ على القساطل. القمر أبيض على المدينة الطباشيرية. شتاء عديم اللون. إنه فحسب كتابةٌ بالقش والرمل. الغيم يتدكرب في كل اتجاه جارًّا معه خيط مخاط ثخيناً. دعوه يهدر من دون صوت. باصقًا جملةً لا طرف لها. قد تكون مخلّفات أسماء وأفكار وقشاً كبيرا. ضاع جنسه. دعوه يهدر من دون مطر."[1]

يستخدم الشاعر عبر اللغة الشعرية والصور المجازية صورة القمر لنقل مشاعر معينة قد ضمنها الشاعر بصورة القمر وهي كالتالي:

لقد قام الشاعر عبر تعبير "القمر الجافّ على القساطل" بالإشارة إلى أن القمر قد جفّ وفقد بهاءه حيث لا ينبعث منه الضوء أو قد افتقد حيويته. وعندما استخدم تعبير "على القساطل"، فإنه يشير إلى تواجده في أمكنة مغبرة حيث لم يستطع نور القمر كشف هذه العتمة الناتجة عن الغبار المتطاير في الجو. كما يمكن تفسير هذه الصورة المجازية بأن القمر قد أصبح في حالة عزلة عن العالم الخارجي، وقد يرمز إلى الحزن.

وفي تعبير "القمر أبيض على المدينة الطباشيرية" يستخدم الشاعر اللون الأبيض في وصفٍ للقمر ويأتي هنا بهذا الوصف للإشارة إلى النقاء والبراءة. وعندما يقال "على المدينة الطباشيرية"، فإنه يشير إلى عدم وجود وجود أثر لضوء القمر الأبيض فوق مكان نقي وخالٍ من العيوب حيث تجلت المدينة بلون الطبشور الأبيض. وهنا يرمز الشاعر عبر هذه الصورة إلى فقدان الروحانية والجمال الساطع من القمر وإضفاء هذه الحالة إلى المدينة.

وهناك مجموعة كبيرة من الرموز الطبيعية الواردة في نصوص الشاعر مثل البقاع والشمس والزهور حيث سنتطرق عبر هذا الفصل إلى كشف رمزيتها من خلال دراستها.

ويأتي الشاعر عباس بيضون في سياق استخدامه للرموز الطبيعية في قصيدة "دقائق" قائلا:

"دقائق بقيت لي دقائق من النور

لن تقعي أمامي

لا أريدكِ أن تختفي اليوم أيضاً

لا أريدكِ أن تظهري شبحاً

هناك فقط دقائق

لن أعود إلى ذلك المكان

لن تغريني هذه الشجرة

التي ستمتلئ بعد قليل، بالغربان

لن أصغي بعد

1- بيضون، عباس، (2007م)، الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج1، ص279.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الرسالة نفسها تتوقف في الوسط

لا أعرف لغة السماء

لأ أعرف متى تصل المرئيّة

متى تهبّ العصافير من المخلاة

متى تطير الأرقام إلى الأرض

هل تبقى السنوات معلقة في سقف العالم

هل نجد النبؤات مطوحة على الضفاف"[1]

لقد جاء الشاعر بيضون في هذا النص الشعري عبر أسلوب جميل وغامض بصور شعرية وانزياحات لغوية لكن الصورة الأبرز في هذا النص كانت متمظهرة في توظيف الرموز الطبيعية لتجسيد حالة نفسية مفارقة وشعورية معقدة أراد الشاعر بيضون أن يظهرها ويرسم صورتها عبر ريشة لغته الخصبة؛ وفيما يلي سنقوم بشرح أكثر تفصيلاً للرموز الواردة في النص:

ج- رموز الطبيعة

- النور: لطالما رمز النور إلى الأمل والإشراق والحياة، لكن الشاعر بيضون قد استخدمه بصورة مختلفة حيث إنه عبر عن رمزيته الآملة، إلا أنه ضمن رؤيته وقال بأنه سيختفي قريباً زهذا ما أراد إرساله للمتلقي حيث إن الأمل والتطلع إلى الأحسن هي الصفة الغالبة عند الناس لكن الأوضاع الموجودة والزمن الذي يكاد أن ينتهي قد سبلب في نفسيته حالة من التوتر وجعله يفقد الأمل المحب للنور والحياة فقد كانت هذه الرمزية آلية إستطيقية دمجت بين حالتين ضديتين هما الأمل والقنوط وقد استخدم الضدية في سياق النفس المتوترة ليربك الصورة بين تطلع سليم نابع عن الوجودية الفطرية وعن تشاؤم منسلخ من نفسية ناقمة استقطعت نفسيتها من واقع الحياة الرقد إلى مطبات الأوجاع.

- الشجرة: تُعدّ الشجرة رمزا للطبيعة النابضة والخصوبة التي تضفي البهاء إلى الوجود، لكن الشاعر في هذا النص لا يريد أن ينجذب إليها بصورة مباشرة، وذلك لأنها ستمتلئ بالغربان وقد جمع الشاعر عبر نسق إستطيقي بين رمزين متفاوتين متناقضين في الدلالة، حيث إنه جاء بذكر الغراب وهو رمز دالٌ على الموت والحُلكة والظلام وبهذا قد عبّر بصورة رمزية أنه يعاني من توتّر عميق يعكس صراعه النفسي المتخبط بين الحياة والموت، وقد استخدم الشاعر في هذا النص تناصا من قصة الشجرة التي أخرجت آدم أبو البشر من الجنة وقد كان هذا الاستخدام مثالا للجمالية الرمزية التي تستخدم في سياق آخر مخالف عن واقع الشجرة الرمزي في استخدامه العام.

د- رمزية الطير

1. بيضون، عباس، (2017م)، الحداد لا يحمل تاجا، دار الساقي، بيروت، صص17-18.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

– الغربان: لطالما رمزت الغربان إلى الحزن والكآبة والموت وكان وجودها في المدن والبقاع والأشجار يشير إلى حالة غير محببة واستخدام الشاعر عباس بيضون لها في هذا النص الشعري هو لإثبات رؤية الشاعر السوداوية للواقع حيث يريد أن يقول بأن الطبيعة قد أصبحت مظلمة ومؤلمة؛ إذن استذكار الغربان يجسد البعد السلبي والكآبوي في نفسية الشاعر بصورة واضحة وجلية.

– العصافير: لطالما كانت العصافير رامزة إلى الحرية والانطلاق، لكن الشاعر قد استخدمها في رمزيتها المتفق عليها إلا إنه لم يعرف متى ستطير من مكانها، مما عكس حالة الغموض والتشتت التي يعيشها وقد استخدم الشاعر عبر لغته الإستطيقية إستعارة لفعل هبّ لينقل للمتلقي صورة طيران العصفور المتحرر من القيود والباحث عن التقدم في اللامحدود من الزمن والمكان وهذا الاستهخدام كان محفّزا للمتلقي بأن الحريّة ستهب كما هو حال العصفور الطائر الذي يتحرك دون قيد وكان هذا الاستخدام معبّرا في تجسيد الرغبة في الحرية والانعتاق الذي يسعى لها الشاعر، لكن هناك عوائق تحول دون تحقيقها وهذه العوائق هي التي تسببت في تشاؤم النص وتعبيره.

هـ– رمزية قوس قزح

وفي قراءة نصوص عباس بيضون نشهد أنه استخدم رمزا آخر من رموز الطبيعة وهو رمز قوس قزح حيث أن الشاعر قد جاء في نصّه باستخدام مفارق للرمزية المعهودة حيث يقول:

"أسماء مهولة

تتكرر بمزيد من العواصف

أسرار واقفة على القواس

قواس قزح ملتهب لا يعبره أحد

دقائق تتحطّم بدويّ

لن تكوني بتول هذه الساعة

لن أنتظر حتى يقع الوقت منكِ."[1]

يتم استخدام رمز قوس قزح في هذه الأبيات، بطريقة مغايرة لما هو معتاد عادةً، حيث إن قوس قزح قد استخدم كرمز للتفاؤل والأمل، إذ يظهر بعد العواصف ليعكس جمال الطبيعة ويعطي شعورًا بالراحة. لكن في هذا السياق، يبدو أن الشاعر يستخدمه للتعبير عن حالة من التشاؤم والركود؛ ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقوم بدراسة هذا الاستخدام المفارق عبر المحاور التاليه:

– التناقض بين الرمز والمعنى

1 . بيضون، عباس، (2017م)، الحداد لا يحمل تاجا، دار الساقي، بيروت، صص17 – 18

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يظهر قوس قزح في هذا النص "ملتهبًا" و"لا يعبره أحد"، مما يوحي بأن الأمل أو الفرح مفقود، وأن هناك نوعًا من الإحباط أو العزلة وهي تكون بسبب الشر الكامن في طبيعة قوس قزح، إلا إن هذه الفكرة تتناقض مع الصورة التقليدية للقوس كعلامة على السلام والأمل والتفاؤل.

ويتضمن النص في تعزيز الصورة المخالفة للرمزية المعهودة استخدام مفردات دالة على عدم الاستقرار حيث يذكر الشاعر "العواصف" و"أسرار واقفة" ذات الدلالة السلبيّة التي توحي إلى حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، مما تعكس مشاعر القلق والتوتر التي يحملها الشاعر في نصّه؛ إذ يصبح قوس قزح في هذا السياق، رمزًا للشيء الذي كان متوقعًا (الأمل) لكنه لم يتحقق.

أما بالنسبة لعبارة "لن أنتظر حتى يقع الوقت منكِ" فهي تعزز الشعور بالعجلة واليأس، مما يجعل القارئ يشعر بأن الأمل غير متاح في الوقت الحالي، وهذا ما يُظهر الجمالية الرمزية في النص خاصة في سياق المفارقة الدالة على الحدث في صورة عامة إذ تكون الصورة العامة للنص في الظاهر صورة تفاؤلية لكنها تتعمق عبر استخدام مفردات سلبية لتنفلب عن واقع استخدامها وتتحول إلى دلالة تشاؤمية تأخذ المتلقي إلى أعماق الدلالة وتُظهر له في نهاية الأمر صورة نقيضة.

إذن لقد عكس استخدام قوس قزح في هذه الأبيات رؤية أكثر سوداوية عن الحياة، حيث يتم تحويل رمز التفاؤل إلى رمز للخيبة. من خلال هذا التلاعب بالرمزية، يُبرز الشاعر الصراعات الداخلية والمشاعر السلبية، مما يعطي عمقًا إضافيًا للتجربة الشعرية؛ ويظهر قوس قزح في النصوص الأدبية كشكل من أشكال الجمال والإلهام، وغالبًا ما يُستخدم لوصف مشاعر السعادة أو التحرر. كما يمكن أن يُستخدم بشكل مغاير، كما في بعض السياقات التشاؤمية، ليعكس خيبة الأمل أو الفشل في تحقيق الأمل. وفي الأدب الحديث، أصبح قوس قزح رمزًا لحركة حقوق المثليين، حيث يمثل الفخر والتنوع والشمولية؛ كما يُستخدم في الأدب لمناقشة قضايا الهوية والمساواة.

إذن يمكن أن يُقال أن قوس قزح رمزٌ معقدٌ يجمع بين الأمل، التجديد، الوحدة، والروحانية. أما في الأدب والمعتقدات الاجتماعية، يمكن أن يتخذ معانٍ متعددة تتراوح بين التفاؤل والتشاؤم، مما يعكس تعقيدات التجربة الإنسانية[1].

و- الرمزية الأسطورية

تُعدّ الأسطورة من أهم أشكال التعبير الثقافي في تاريخ البشرية، حيث تلعب دورًا محوريًا في تشكيل المعتقدات والقيم في المجتمعات المختلفة. تُعرف الأسطورة بأنها قصة تقليدية تُروى لتفسير ظواهر طبيعية أو أحداث تاريخية، وغالبًا ما تتضمن شخصيات خارقة أو آلهة، مما يضفي عليها طابعًا مميزًا.

كما يمكن تعريف الأسطورة بأنها مجموعة من الروايات التي تنتمي إلى ثقافة معينة، تتناول مواضيع مثل الخلق، الأبطال، الكائنات الخارقة، والصراعات بين الخير والشر. تُستخدم الأسطورة كوسيلة لتوصيل بعض من القيم الأخلاقية، وتقديم دروس مأخوذة من وقائع الحياة عبر التاريخ.

1 - جودة نصر، عاطف، (1983م)، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط3، صص257-265.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تستخدم الأساطير كرموز بشكل واسع، حيث تمثل الشخصيات والأحداث الرمزية تجارب إنسانية شاملة، تُعبر عن الصراع، الأمل، والفقد.

ولقد استخدم الشاعر عباس بيضون الرمز الأسطوري وسنذكر منه رمزية السيكلوب:

السيكلوب هو "العين المدوّرة" ودلالة "العين المدوّرة" في اللغة غير مرعبة. وغالبا ما تكون هذه العين مرعبة حينما توضع (وحيدة وبلا تثنية" في وسط كائن خرافي عملاق، ابتكرته الميثولوجيا اليونانية، وفي الطب، السيكلوب كائن مسخ يولد بخطأ جيني. ولم ترمز الميثولوجيا اليونانية التي ابتكرته به للموت، بل قد اصطنع الشاعر عباس بيضون رمزية الموت له وذلك حينما شاهد الثغرة التي قأحدثتها الطلقة في جبين زاد ابن أخته بعدما انتحر ومن خلال تشابه ثغرة الطلقة والعين المدورة للسيكلوب اختلق رمزية الموت له. لقد عمد الشاعر بيضون في تمثيل هذا الكائن الخرافي البشع في المخيّلة الصورية الخرافية حيث ضمنها جمالية المشهد المرعب من خلال تعاريج قصيدته الشائكة، إلى دهاليز هذا المشهد وأهواله كأنه مشهد القيامة.

ويقول بيضون ضمن هذه القصيدة ما يلي:

"لا أحد في بيت السيكلوب. حين علمت بانتحار زاد خطر لي أن أمثاله يتحوّلون إلى سيكلوبات، إذ العين الوحيدة وسط الرأس هي مثلث المنتحرين. قرن الكركدن الوحيد شعار موته، لا ضوء، ليس في عين السيكلوب سوى أمر، فكرة غير مرتدة، إلى الأمام حتى الانفجار."[1]

يستخدم الشاعر عباس بيضون رمزية الكائن الأسطوري وهو السيكلوب في دلالة جديدة ومخالفة لواقع استخدامه المتعارف عليه حيث يربطه بواقع الموت والانتحار.

تبدأ القصيدة بعبارة "لا أحد في بيت السيكلوب"، ويفهم من هذا المقطع على أنه يعبر عن الوحدة والعزلة، إذ يشير "بيت السيكلوب" إلى مكان يعيش فيه هذا الكائن الأسطوري ذو العين الواحدة، وهنا يأخذ الشاعر هذا الرمز الأسطوري ويعطيه دلالة جديدة؛ ثم يقول الشاعر "حين علمت بانتحار زاد خطر لي أن أمثاله يتحوّلون إلى سيكلوبات". هنا يتناول الشاعر موضوع الانتحار، حيث يعرض تأثير الانتحار إذ يقوم زاد بإطلاق رصاصة على جبينه ويفتح ثغرة يقوم بتشبيهها بعين السيكلوب وهذا التشبيه ما يجعل الشاعر إهداء لباس الموت للسيكلوب. ويعتبر الانتحار عاملا لتحوّل الشخص إلى سيكلوب، وذلك تحت تأثير حالة العزلة النفسية المتأثرة من الوحدة والألم.

يستخدم الشاعر أيضًا مفهوم "العين الوحيدة وسط الرأس" كرمز للسيكلوب ويقوم بتشبيهه هذا المظهر المكون من العين الوحيدة وسط الرأس بمثلث يختصر بالمنتحرين.

1- بيضون، عباس، (2007م)، الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج1، ص401.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وعندما يقول الشاعر "قرن الكركدن الوحيد شعار موته"، فإنه يشير إلى القرن الوحيد للكركدن (وحيد القرن) ولطالما عُرف أن قطع قرن الكركدن سيكون سببا في موته المحتم وهذا ما أردفه على عين السيكلوب. وقد جعل هذا القرن رمزًا للموت والدلالة على النهاية الحتمية كما هي حال العين المدورة في جبين السيكلوب.

وفي البيت الأخير، يقول الشاعر "لا ضوء، ليس في عين السيكلوب سوى أمر، فكرة غير مرتدة، إلى الأمام حتى الانفجار". يعبّر الشاعر هنا عن مفهوم العتمة والانعدام، حيث لا يوجد ضوء أو أمل في عين السيكلوب. ويشير عبر عبارة "إلى الأمام حتى الانفجار" إلى النهاية القاتمة والتفجير الحتمي.

في الواقع إن الشاعر عباس بيضون قد يذكر رمزية السيكلوب لتجسيد الموت والألم، عبر استخدام الشخصية الأسطورية في سياق جديد ومعنى مختلف. حيث يعكس النص العزلة والألم الناجم عن الانتحار ويستخدم الرموز البصرية والتشبيهات للتعبير عن المشاعر والمفاهيم المرتبطة بالموت والقسوة والحالة السلبية العميقة عبر جمالية نصيّة مفارقة للواقع وهي فلسفة جمالية تشبيهيه مرادفة لسيكولوجية الموت والرهبة منه.

ز- رمزية الحب

تُعدّ رمزية الحب واحدة من أهم المواضيع التي تم تناولها في الأدب العربي عبر العصور. تتجلى رمزية الحب في الأدب العربي من خلال استخدام العديد من الرموز والمفاهيم التي تعبّر عن المشاعر والأحاسيس التي يثيرها الحب في قلوب الناس. وقد كانت فترة العصور الذهبية للأدب العربي من أكثر الفترات تنوعًا وغنى في استخدام رمزية الحب. إذ وجد الأدباء والشعراء في تلك الفترة، أن الحب قد يكون وسيلة للتعبير عن المشاعر الرومانسية والعاطفية بأسلوب متقن وجميل.

ووفقا لما جاء عن رمزية الحب نشهد استخدام الشاعر بيضون في نصه الشعري رمزية الحب في قصائد عديدة نذكر منها الشاهد التالي حيث يقول:

"تَمَدَّدْنا عَلَى أحجارٍ طويلةٍ كالأخشابِ مَلْفُوفينَ بِالأشْرعَةِ. في حَجَرٍ حَاضِنٍ نِمْنا مُتَعَانِقَيْنِ وَتَعَلَّمْنا الحُبَّ، وَعَلَى طَبَقِ صَوَانِي جَاءَنا الحَظُّ وَتَنَاوَلْنَا فَاكِهَتَنَا القَلِيلَةَ، لَكِنْ يَبْقَى للصّوانِ مَا عَلى الصّوان. تَجَلَّلْنا بِالبَرْقِ الهَابِطِ عَلَى المَرَاعي الصَحْرِيَّةِ وَكَبِرْنَا تَحْتَ أمْطَارِ اللَّيلِ."[1]

يمتلك النص مجموعة من الرموز والصور التي تعكس رمزية الحب تحت وطئة الظروف القاسية بينما يقوم الشاعر برسم جمالية استثنائية تحت تأثير جمال المطر وانتعاشته. وفيما يلي تحليل لهذه الرموز والصور إذ به يقول:"تَمَدَّدْنا عَلَى أحجارٍ طويلةٍ كالأخشابِ مَلْفُوفينَ بِالأشْرعَةِ" هنا يتم استخدام الأحجار كرمز للظروف القاسية والصعوبات التي قد يواجهها الحب. الأخشاب الملفوفة بالأشرعة ترمز إلى الحماية والدفء الذي يمكن أن يوفره الحب في مواجهة هذه الصعوبات.

وفي نفس المقطع يقول أيضا "عَلَى طَبَقِ صَوَانِي جَاءَنا الحَظُّ وَتَنَاوَلْنَا فَاكِهَتَنَا القَلِيلَةَ" وفي هذا المقطع يرمز الطبق الصواني إلى الاستقبال الذي حظى به من قبل حبيبته في تلك اللحظة؛ وما قصده الشاعر من تناول الفاكهة فهو ما ناله من طعم

1- بيضون، عباس، (2007م)، الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج1، ص46.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

حبيبته حيث استعار عبارة تناول فاكهة قليلة للدلالة على حظوته من تلك اللحظات النادرة والقيمة التي جلبتها له معاشرة حبيبته وما وهبه له الحب في تلك اللحظة.

في الحقيقة لقد تناول النص الرمزية الرومانسية للحب وقدرته على تغيير الأوضاع الصعبة ومنح الحياة جمالية وانتعاشًا. كما ركّز النص على قوة الحب في تقديم الدعم والحماية تحت سياط الظروف القاسية، وإسهامه على التحمل والصمود؛ كل هذه الأوصاف من شأنها إضفاء جمالية لحالة الحب إذ تعطيه طابعا متضادا بين الصعوبة والرِفاء. كما يعرض النص أيضًا فكرة نادرة وثمينة للحظات السعيدة التي يمكن أن يجلبها الحب، وذلك حينما يتداخل جمال انهمار المطر وسطع البرق في الصورة الشعرية للنص ليعزز فكرة التجديد والانتعاش التي يمكن أن يجلبها الحب في الظروف القاسية.

4. النتائج

1- استخدم الشاعر عباس بيضون مجموعة متنوعة من الرموز الشعرية التي تعكس عمق تجربته الشعرية ورؤيته للعالم. من بين هذه الرموز، نجد رموز الطبيعة مثل البحر والقمر والنور وقوس قزح والشجر، والتي تحمل دلالات متعددة ومعاني غنية. بالإضافة إلى ذلك، استثمر بيضون الرموز الأسطورية مثل "السيكلوب"، الذي يمثل التحديات والآلام الإنسانية. كما استخدم رمزية الحب والفولكلور اللبناني، مما يضفي صبغة محلية على تجربته الشعرية ويعكس تاريخه الثقافي. تعكس هذه الرموز تفاعل الشاعر مع محيطه وتأملاته في الحياة، مما يجعل نصوصه مليئة بالعمق والدلالات المتعددة.

2- تتسم دلالات بيضون الاستطيقية بالتنوع والعمق، حيث استخدم الرموز في سياقات خاصة تعكس جماليات جديدة. على سبيل المثال، يمثل البحر في شعره مصدرًا للتجديد والتحول، كما يتضح في تصويره لعملية تحول فراخ السلحفاة من البيض إلى عالم البحر، مما يرمز إلى الانتقال من حالة إلى أخرى. فيما يتعلق برمز "السيكلوب"، فإنه يحمل دلالة معقدة؛ فهو ليس رمزًا للموت أو الخوف، بل يعبر عن الألم والمعاناة الإنسانية من خلال "ثقب الطلقة في الجبين". كذلك، يُظهر قرن وحيد القرن دلالة الفناء والموت، حيث يشير إلى عدم وجود حياة بعد خلع القرن. بالإضافة إلى ذلك، يعكس قوس قزح جمالية فريدة، مما يدلّ على قدرة الشاعر على تحويل الرموز إلى تجارب جمالية حية تعكس مشاعره ورؤيته للعالم.

3- نجح عباس بيضون في توليف الأدوات الثقافية بمهارة لتبيين جمالية الرموز في نصوصه الشعرية. فقد استند إلى ثقافته الأم والفولكلور اللبناني، مما أضفى على رموزه طابعًا محليًا وخصوصية تعكس التجربة الإنسانية بشكل أعمق. استلهم الشاعر أفكاره من مكونات ثقافته، حيث استطاع تعديل الرموز المستخدمة لتتناسب مع السياق الثقافي والاجتماعي الذي ينتمي إليه. هذه التوليفات جعلت نصوصه أكثر قربًا من القارئ، حيث تعكس مشاعر وأحاسيس مشتركة بين الأفراد في الثقافة اللبنانية. من خلال هذه العملية، لا يقتصر بيضون على استخدام الرموز بشكل سطحي، بل يُعبر عن تجربة إنسانية غنية تتجاوز الحدود الثقافية، مما يعزز من جمالية النصوص ويجعلها عميقة وملهمة.

5. قائمة المصادر والمراجع

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

EL TAWASOLIA JOURNAL مجلة التواصلية ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537

- إبراهيم، زكرياء، (1966م)، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، القاهرة.
- بن شوري، فهيمة، (2016م)، جماليات التلقي في شعر يوسف وغليسي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
- بيضون، عباس، (2007م)، الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- بيضون، عباس، (2017م)، الحداد لا يحمل تاجا، دار الساقي، بيروت.
- جودة نصر، عاطف، (1983م)، الرمز الشعري عند الصوفية، ط3، دار الأندلس، بيروت، لبنان.
- الداية، فايزة، (1996م)، جماليات الاسلوب، الصورة الفنية في الأدب، ط2، بيروت، دار الفكر المعاصر، بيروت.
- دبي، نادية، (2015م)، الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان.
- رماني، ابراهيم، (1993م)، "الرمز في الشعر العربي الحديث"، مجلة اللغة والأدب، مج. 2، ع. 2، صص74-84.
- زراقط، عبد المجيد، (1991م)، دراسات في التراث الادبي، مركز الغدير، بيروت.
- سعدي، ابوشاور، (2003م)، تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر، دار الفاس للنشر والتوزيع، عمان.
- صونية، زيدان؛ وعمرو، عيلان، (2021م)، "جمالية التلقي في قصيدة "الموتورة" لمحمد بلقاسم خمار"، مجلة دراسات وأبحاث، مج. 13، ع. 2، ص381-392.
- الطيب، عبد الله، (1970م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط1، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت.
- عبد الصبور، صلاح، (1983م)، حياتي في الشعر، بيروت، دار العودة.
- عبد الفتاح، ثريا، (2023م)، القيم الروحية في الشعر العربي، الشركة العالمية للكتاب.
- عزالدين، اسماعيل، (2003م)، الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط6، المكتبة الاكاديمية، القاهرة.
- العشماوي، زكي، (د.ت)، الأدب العربي الحديث واتجاهاته الفنية، مؤسسة جابر عبد العزيز مسعود.
- لالو، شارل، (2010م)، مبادى علم الجمال "الاستطيقا"، ترجمة: مصطفى ساهر، المركز القومي للترجمة.
- المقيد، منير عوض حسين، (2017م)، رمزية البحر في الشعر الفلسطيني المعاصر، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة.
- موقع أبجد، ينظر على الرابط التالي: https: //www.abjjad.com
- نصر الله، هاني، (2006). البروج الرمزية، دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)